متى أقوم بالشكر

وقال في بدر أيضاً:

[الكامل]

عَـذَلَـتْ مُـنَـادَمَـةُ الأمِـيـرِ عَـوَاذِلِـي
فـي شُـرْبِـهَـا وَكَـفَـتْ جَـوَابَ الـسَّـائِـلِ (١)
مَـطَـرَتْ سَـحَـابُ يَـدَيْـكَ رِيَّ جَـوَانِـحِـي
وَحَـمَـلْـتُ شُـكْـرَكَ وَٱصْـطِـنَـاعُـكَ حَـامِـلِـي (٢)
فَـمَـتَـى أَقُـومُ بِـشُـكْـرِ مَـا أَوْلَـيْـتَـنِـي
وَالْـقَـوْلُ فِـيـكَ عُـلُـوُّ قَـدْرِ الْـقَـائِـلِ (٣)

يزول الدهر قبل زواله

فقال بدر: بل من تركه. فقال أبو الطيب:

[الكامل]

بَـدْرٌ فَـتًـى لَـوْ كَـانَ مِـنْ سُـؤَّالِـهِ
يَـوْمـاً تَـوَفَّـرَ حَـظُّـهُ مِـنْ مَـالِـهِ (٤)

---

(١) عذل: لام. المنادمة: المشاركة في شرب الخمرة والحديث. كفت: أغنت. ثمّة من يلوم الشاعر على شربه الخمرة مع الأمير، فيردّ بأن ذلك يعود إلى حسد اللائم؛ فمنادمة الأمير شرف بحدّ ذاته لا يناله إلّا قلّة ممن يأنس إليهم الأمير ويصدّق ولاءهم له، ويرى الشاعر أن البقاء على هذه الحالة خير يردّ على كلّ لائم.

(٢) الجوانح: الأضلاع في جانبي القصب الصدري لابن آدم. اصطناع: تقريب المحبّ بالإحسان إليه. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه أفاد من جود كرمه وسحاب يديه الشيء الكثير حتى ارتوت روحه وجسده من فضله، فوجب عليه الشكر والاعتراف بفضله الذي حمله فجعله في مكانة عالية.

(٣) أوليتني: منحتني. يسأل الشاعر ممدوحه عن زمن شكره على كثرة العطاء الذي ناله من الأمير، ويُقرّ بأن مدح الأمير يرفع من قدره لأن الممدوح ذو فضل، وهو عالي القدر بذاته، فلا يزيده المدح فضلاً ورفعة.

(٤) يمدح الشاعر بدراً، إنه فتًى اكتملت لديه عناصر الفتوّة؛ الشباب، القوّة، السؤدد، الشجاعة، الكرم، أصالة النسب، ميله إلى اللهو إذا توفّرت له أسبابه، لذا فهو يشرب =

تَـتَـحَـيّـرُ الأَفْـعَـالُ فـي أَفْـعَـالِـهِ،
وَيَـقِـلُّ مَـا يَـأْتِـيـهِ فـي إِقْـبَـالِـهِ(١)
قَـمَـراً نَـرَى وَسَـحَـابَـتَـيْـنِ بِـمَـوْضِـعٍ
مِـنْ وَجْـهِـهِ وَيَـمِـيـنِـهِ وَشِـمَـالِـهِ(٢)
سَـفَـكَ الـدِّمَـاءَ بِـجُـودِهِ لا بَـأْسِـهِ
كَـرَمـاً لأَنَّ الـطَّـيْـرَ بَـعْـضُ عِـيَـالِـهِ(٣)
إِنْ يُـفْـنَ مَـا يَـحْـوِي فَـقَـدْ أَبْـقَـى بِـهِ
ذِكْـراً يَـزُولُ الـدَّهْـرُ قَـبْـلَ زَوَالِـهِ(٤)

أبت بالحاجة مقضية

وسأله أبو الطيب حاجة فقضاها له فنهض وقال: [السريع]

قَـدْ أُبْـتُ بِـالْـحَـاجَـةِ مَـقْـضِـيَّـةً
وَعِـفْـتُ فـي الْـجَـلْـسَـةِ تَـطْـوِيـلَـهَـا(٥)

= الخمرة، ولو سُئِلَ لأعطى سواه من ماله أكثر ممَّا يعود عليه من نفعه، ولو أنه سأل نفسه لكان نفعه نفسه أكبر وأكثر.

(١) إن الممدوح مثار اندهاش الناس، فهم في حيرة ممَّا يفعله لكثرة ما يفعل من خير وقلّة من يفعلون، ولو علموا أن ما يفعله بإمكانه أن يفعل أكثر منه بكثير لما كان لعجبهم حدّ ممَّا يفعل.

(٢) يمدح الشاعر ممدوحه؛ إنه قمر ينشر الأنس في ظلمة الحياة والضياء في عتمة جَوْر الطبيعة والإنسان لأخيه الإنسان، لذا فيداه تسحّان الخير بوفرة لأوليائه وأصحابه، كما تنشران الموت والدمار والخسف لأعدائه.

(٣) سفك: سفح. الجود: الكرم. البأس: الشدّة. العيال: هم من يقوم المرء بأودهم وطعامهم. إنه يقتل أعداءه ليجعل جُثثهم طعماً لجوارح الطير التي اعتادت على أعماله البطولية، ولها حقّ عليه أن يُعيلها باستمرار ليؤمن لها الحياة من جثث قتلاه.

(٤) يُقرّر الشاعر حقيقة مفادها أنه قد يفتقر الممدوح ويفنى ماله، ولكنّ ذكرى الممدوح لن تفنى لأنه يمثل نموذجاً حيًّا، والأيام تمرّ ورغم ذلك من كتب ذكره في ذاكرة الوجود فلن تنساه البشرية رغم تبدّل الأحوال ومرور الأيام.

(٥) آب: رجع. عاف: كره. يُنوّه الشاعر بأنه قد حصل على ما يُريد من الأمير، فرجع =